مركز أفكار للدراسات والأبحاث
Afkaar Center for Studies and Research

ورقة بحثية:

في الحاجة إلى الفلسفة والتفكير النقدي

في المنظومة التعليمية والتربوية في السياق العربي والمغربي.

"نحن بحاجة إلى الفلسفة بوصفها ممارسة للعقل أو لملكة الفكر للوقاية من الشر"

حنة أرندت

بقلم: د.نادية لوطفي

باحثة في العلوم الإنسانية

مدخل:

هل نحن بحاجة إلى الفلسفة والتفكير النقدي في الوقت الراهن؟

يكتسب سؤال الحاجة إلى الفلسفة شرعيته من التأمل في واقع التفكير الفلسفي المعاصر ومكانته داخل سياقات البحث العلمي ودوره في الواقع المعاصر، في زمن القرن الواحد والعشرين زمن الذكاء الإصطناعي والتحولات الرقمية الكبرى والنبؤات الصادمة لمستقبل البشرية، والمشكلات المعقدة التي تهدد بقاء الإنسان على كوكب الأرض، هل نحن بحاجة إلى الفلسفة كفكر له مكانة كبرى في تفسير الظواهر الكونية وتوجيه التفكير الإنساني عموما؟.

لعل نظرة سريعة في معارض الكتب حديثة الإصدار أو في المجلات المتخصصة أو الملتقيات الجامعية والأكاديمية أو المقررات الدراسية تكشف لنا عن جزء من واقع الفلسفة في المجال العربي عموما والمغربي خاصة.

يصعب إنكار المأزق الذي تعيشه الفلسفة في العالم العربي والإسلامي، حيث تواجه مشكلات عويصة ناتجة عن الجهل بحقيقة الفلسفة ومكانتها مما يتسبب في العزوف عنها أو نعتها بعدم الجدوى وانعدام النفع، وذلك لوجود تلك الصور النمطية عن المشتغلين بالفلسفة كونهم يعيشون في انعزال وانفصال عن الواقع، بالإضافة إلى كون الحياة العملية تتطلب علوما أكثر دقة واستجابة لمتطلبات العصر، فالإنسان المعاصر اليوم ومستقبلا سوف يزداد ارتباطه بكل ما هو عملي لحضي مادي ثرفي، في حين ينفر من كل ما هو ثقافي فكري علمي يتطلب جهدا ومثابرة، ذلك لإن حاجياته تخضع للتحول، فماذا يفعل الإنسان بقراءة الأطروحات الفلسفية وتتبع مشادات الفلاسفة وردود بعضهم عن بعض ودحض بعضهم لبعض، وذلك هو التصور الشائع عن التلفسف، دون الإنتباه إلى كونها علم من العلوم التي تفتح أمام العقل الإنساني أفاقا ومساحات شاسعة لينتقل المرء من التفكير المحدود والضيق إلى رحابة الفكر ووسعه، ثم إن هذا الإنسان المعاصر الذي حصر نفسه في بضع ملذات وحاجيات معلومة منجرا وراء زمن السرعة الجارف، قد يفوته الكثير بسبب تركه للتفلسف بما هو تأمل ونظر وممارسة نقدية وليس سفسطة ومضيعة للوقت.

لقد نبه عدد كبير من الباحثين والمهتمين بالشأن الفلسفي في سياق تقييم واقع الفلسفة إلى عدد من المشكلات التي تقف سدا مانعا أمام البحث العلمي في الفلسفة وعدد من المظاهر التي تبين بشكل جلي واقع الفلسفة بالعالم العربي منها مسألة التأليف في الفلسفة ومسألة إعطاء الإهتمام للبحث الفلسفي بمراكز البحث الجامعية والأكاديمية المتخصصة، كما نبه عدد من الباحثين إلى حقيقة التفلسف العربي ومشكلاته، ويعتبر الدكتور طه عبد الرحمن بالمغرب أشهر من كتب في هذا السياق من خلال مشروعه الفلسفي _ فقه الفلسفة_ الذي يروم بناء فلسفة عربية إسلامية متحررة من التبعية للمسلمات الفلسفية الغربية التي دأب العقل العربي على اتباعها، كما عمل على تقويض كل تلك الإدعاءات التي تفيد أن الفلسفة صناعة غربية حصرا، مدافعا عن فكرة المشترك الثقافي حيث إن الحضارة تبنى بتراكم ثقافات عدة تختلف من جماعة بشرية إلى أخرى، وقد فند طه عبد الرحمن فكرة عدم قابلية العقل المسلم للتفلسف من خلال كتابيه الحق العربي في الإختلاف الفلسفي والحق الإسلامي في الإختلاف الفكري.

إن الفلسفة ليست علما يتقادم مع مرور الزمن، أو يتراجع مع تطور العقل ، بل إنها فكر يؤصل لتجديد الفكر والعمل الديني، ومواكبته وتأطيره للبناء الحضاري، فإحياء الدين وتحقيق التدين الحقيقي، لا يتم إلا بإحياء فلسفة هذا الدين وإثبات مشروعيتها الفكرية، وقيمتها الحضارية ذالك أن الفكر الفلسفي، كفيل بالتعبير عن القيم الحضارية للأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء باعتبار كونية مباحثه، وإسهامه في البناء والتجديد من خلال قدرته على الإبداع.

ويعد مشروع الدكتور طه عبد الرحمن، محاولة جادة للإجابة عن إشكالات الفكر الفلسفي الإسلامي، من خلال محاولته إنشاء فلسفة أخلاقية معاصرة تروم إنتاج المصطلح الفلسفي الإسلامي بما يتفق مع الخصوصية الثقافية والفكرية، فهو بذلك يسعى لوضع نظرية فلسفية أخلاقية تنطلق من مقتضيات الوحي، محاولة منه للتأصيل لشرعية الفلسفة الإسلامية وحضورها وفق المرجعية الإسلامية، كما انتقد التصور السائد للفلسفة والذي يفصل بين الفكر والعمل، وبين العقل والوحي وبين الغيب والشهود ... ويؤكد على ارتباط الفلسفة بالأخلاق وارتباطهما معا بالعمل والممارسة، فقد اشتغل على عدة مسلمات فلسفية مراجعةً ونقدًا، ليكشف عن قصورها وقابليتها للنقد والهدم إذا لزم الأمر، فهو بذلك يسعى من خلال مشروعه الفلسفي إلى إحداث يقظة دينية.

كما تعتبر محاولته الفلسفية محاولة لوضع الفلسفة الغربية الحديثة قيد النقد من حيث المنطلقات والتصورات والمفاهيم والمصطلحات، وتوضيح ما انطوت عليه من تحيز وعجز عن تأطير الحياة وفي مقابل ذلك، يبين التبعية والتقليد في الفلسفة العربية الإسلامية، فيدعوا إلى بناء فلسفة إسلامية متحررة من التبعية الفلسفية الغربية ومؤسسة على الإبداع بما يقتضي المرجعية الإسلامية بحيث يرى أن المتفلسف العربي وقع في تقديس القول الفلسفي الاصلي الاغريقي قديما والاروبي حديثا،"فمن لا يبتكر يكن واقعا في تقديس ما بين يديه"[1]ويرد هذا الوقوع في التقديس إلى الترجمة، معلنا أن الفيلسوف العربي ينبغي ان يتحقق بان القول الفلسفي ليس مجرد قول، وإنما هو خطاب والخطاب هو عبارة عن توجه للتماثل بالقول الى المتلقي بغرض إفهامه مقصودا معينا وبالتالي فان خطابية القول الفلسفي، تحتم على المترجم العربي أن يأخذ بلإعتبار"ان الأصل في التحول الفلسفي النقلي الاختلاف عن القول الفلسفي الاصلي ولا إتفاق معه إلا بدليل[2] سعيا منه إلى الاشتغال بخصوصية الفكر العربي الإسلامي والإبداع وفق هذه الخصوصية، من خلال خلق فضاء للتفلسف بمقتضى الرؤية الإسلامية، واعتبار الهوية الفكرية والثقافية "لكي لا نعولم بمشيئة غيرنا ونشكل كما يراد لنا"[3] ومن تمة فإن مشروع فقه الفلسفة الذي سطره طه عبد الرحمن كخطة علمية وعملية لدراسة الفلسفة يمكن من"الاقتدار على التفلسف وعلى الإبداع في الفلسفة "[4] و"تصحيح الممارسة الفلسفية وتسديد مسارها لا التنقيص من شأنها ولا القدح في أهلها[5]

الفلسفة والتفكير النقدي في التعليم المغربي.

لطال ما كان التفكير الفلسفي مرافق للثقافات والحضارات ويقف وراء ما تعرفه البشرية من تحولات وقد كان عاملا حاسما في تلك التحولات الكبرى التي عرفتها أوربا، وذلك الصراع الذي ظهر بين الكنيسة والعلم فكانت تلك النقاشات حول الدين والعلم والإله والعقل والحرية والعدالة وغيرها من الموضوعات والمفاهيم التي كانت تعبر عن إشكالات كبرى انشغل بها التفكير

[1] طه عبد الرحمن، الحق العربي في الإختلاف الفلسفي،ط 2 سنة 2006 المركز الثقافي العربي ص 118

[2] نفس المصدر ص 123

[3] طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة ج 1 الفلسفة والترجمة،ط 1 سنة 1995 المركز الثقافي العربي ص 45

[4] نفس المصدر ص 46

[5] نفسه ص 42

الفلسفي النقدي زمنا طويلا إن "الحياة أولا ليست بحث عن المتعة كما يعتقد فرويد، أو بحث عن السلطة كما علمنا ألفرد أدلر، لكنها بحث عن المعنى، إن أعظم مهمة لأي شخص تتمثل في أن يجد معنى في حياته وفي طريقة عيشها"[6].

أما في ما يخص مسارات التربية والتعليم في المدرسة المغربية فهناك اهتمام كبير بحضور الفلسفة في المقررات الدراسية منذ سبعينات القرن الماضي، ثم تم تعميمها في ما بعد سواء في مسارات العلوم الحقة والتجريبية أو علوم الحياة والأرض كما يحلو لوزارة التربية الوطنية نعتها بها مع ما تحمله تلك المسميات من دلالات، فعلوم الحياة مثلا لا تقتصر على دراسة علم النباتات أو طبقات تكوين الأرض أو ذلك أن لباقي العلوم الأخرى حظ أيضا في كونها علوما من علوم الحياة، لكن مسألة التوجهات الدراسية والفصول الدراسية تفرض مسميات ربما هي من أجل التمييز ليس إلا وإلا فالحياة لا تقتصر على علم واحد، على كل حال، إلا أن هذا التوظيف للفلسفة في التعليم المغربي، يعد توظيفا تبعيا لكونه نسخة عن التوظيف الفرنسي للفلسفة ناتج عن تبعية النظام التعليمي ككل إذ يعتبر نسخة عن التعليم الفرنسي، حتى عندما تم تعريبه، مما يجعلنا نطرح مسألة الهوية والخصوصية وعلاقتها بالدرس الفلسفي في المنظومة التربوية، ولذلك لا غرابة في واقع الفلسفة والفكر النقدي في التعليم المغربي المتصف بالسطحية، ذلك أن مسألة التبعية تعتبر عائقا أمام النهوض الحضاري لكل أمة ما لم تتوسل بعلومها ومعارفها ومناهجها المنسجة مع هويتها وتاريخها وثقافتها وتراثها، و تقطع مع كل ما هو تابع للغرب ملغي للخصوصية الثقافية والفكرية، وبالتالي فتهميش التفلسف والتفكير النقدي في السياق العربي متوقع، وهي نفسها الأطروحة التي دافع عنها الدكتور طه عبد الرحمن في مشروعه الفلسفي والفكري.

أما على مستوى التأليف المدرسي في الفلسفة فالسؤال الذي يفرض نفسه كسؤال بديهي هو: هل يمكن الحديث عن تأليف فلسفي مدرسي يستجيب لتطلعات المدرسة المغربية ومستقبل التعليم بالمغرب؟ وهل هناك تفاعل فلسفي واهتمام بحثي في سياق البحث العلمي الأكاديمي التربوي في ساحة الفكر المغربي؟ وما هي المشكلات التي تواجه الإنتاج الفلسفي المدرسي بالمغرب؟

---

[6] فكتور فرانكل من كتاب الإنسان والبحث عن المعنى .

إن الكتاب المدرسي يعتبر دليلا مرشدا للطالب لم تتقادم مكانته ولم يفقد وظيفته مع ما طرأ على المعرفة بحكم التطور الرقمي و التكنولوجيي الذي ســـاهم في تقريب المعلومة ووفرتها و تعدد الوسـائط المعرفية، بحيث أصـبح الكتاب الرقمي متاح بشـكل كبير، وكذلك التسـجيلات المرئية والمسـموعة والأنترنيت الذي فتح الباب على مصـراعيه لتدفق المعارف، إلا أن الكتاب المدرسـي يعتبر مهما لأنه يقيد المجال المعرفي المناسـب للفئة المتمدرسـة والمرحلة العمرية ، ولذلك ينبغي إعداده بجودة عالية تســـتجيب لتطلعات المتعملين و تأخذ بعين الإعتبار التحولات التي عرفها العالم على المستوى المعرفي .

و بخصـوص الفلسـفة والفكر النقدي فينبغي انتقاء النصـوص المدرسـة بعناية تأخذ بعين الإعتبار مسـألة الخصـوصـية والكونية و مسـألة التراث والتاريخ ومسـألة المسـتقبل، فالطالب الذي يعيش انفصـاما بينه وبين هويته لا علم له بتراث أجداده و تاريخ الأمة التي ينتمي إليها سيكون لكل هذا تأثير في علاقاته بقضـايا الكون والإنسـان مستقبلا و ستكون قراراته وتصـوراته متأثرة بذلك، لذلك وجب التنبيه على أهمية الفلســـفة و التفكير النقدي في المنظومة التربوية التعليمية المغربية دون تخوف من أثارها لأن النقد الحقيقي هو النقد البناء و التفلسـف الحقيقي هو التلفلسـف الذي ينتج معرفة نافعة .

الفلسفة والتفكير النقدي:

يبدو هذا الربط المباشـر بين الفلسـفة والفكر النقدي ربطا بديهيا لعدة اعتبارات أهمها أن كلاهما يشـــتغل على التفكير، ولعل التفكير النقدي يندرج ضـــمن التفكير الفلســـفي أو هو أحد مكوناته "العصـر لم يعد عصـر فلسفة وأنه عصـر فكر نقدي لا مكان فيه للتفلسف بالمعنى التقليدي، أي أنه عصر تتحول فيه الفلسفة إلى انشغال وطرح فكري نقدي بعيدا عن الأطروحات أو المنظومات الفكرية الكبرى التي ارتبطت بالفلاسفة كما هو الحال لدى هيغل وكانط وغيرهما[7].

إن الفكر الإنسـاني لا غنى له عن الفكر النقدي باعتباره أسـاس توجيه الخطاب المعرفي وضـبط أطروحاته، ولعل تلك التحولات التي تشهدها الأمم والمجتمعات على كل المستويات وتلك المراحل

[7] سعد البارزعي قلق المعرفة إشكاليات فكرية و ثقافية المركز الثقافي العربي طبعة أولى 2010 ص 80

الإنتقالية التي تعيشها كل الحضارات الإنسانية عبر التاريخ، لا تتم بسلاسة ويسر، بل إنها تمر عبر مخاضات وصراعات فكرية كبيرة، يكون الفكر النقدي هو المحرك الأساسي لها والمسؤول عن مآلاتها ونتائجها.

إن التاريخ البشـــري قائم على التحول والإنتقال، إذ تحكمه قوانين حركية حضـــارية تربط بين الأسباب والنتائج، وهي حركية انتقال مستمرة حيث تنشأ مرحلة على أنقاض مرحلة سابقة أو ما عبر عنه ابن خلدون بالدورة الحضارية حيث يرى أن كل حضارة إنسانية لها عمر يبدأ بالمولد ثم الفتوة ثم الشيخوخة والموت ، والتحول الحضاري هو سنة طبيعة من سنن الله تعالى في الكون قال تعالى "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[8] وهي مرتبطة بفعل الإنسان قال تعالى"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[9] والتغير شرط من شروط التحول والإنتقال، لا يتم إلا بخلخلة ونقض بعض المسلمات والأفكار والتصورات التي قد تتحول إلى ثوابت حائلة بين أي رقي وتطور حضاري.

وكذالك الفكر البشري تحكمه سنة التحول والإنتقال، التي يفرضها تعاقب الأجيال وتغير احوالها في علاقة جدلية بين الماضي والحاضر، والتفكير النقدي ضروري لضبط تلك الجدلية التي تحكم كل حضارة إنسانية، حيث تكون جدلية القديم والجديد تقوم على الإتصال والإنفصال، والجديد غالبا ما يتنكر للقديم، فكل التحولات التي شهدها الفكر الإنساني عموما نجدها قائمة على صراع بين القديم والجديد إما رفضا مطلقا أو قبولا مطلقا أو توفيقا.

و"يفترض العقل النقدي وجود الحيوية في العقل المتشكك والتفكير الإشكالي، كما يفترض الفحص الذاتي الذي يجب أن يكون التعليم محفزا له بحيث يصل كل طالب إلى ملكة تفكير تسمح بحد ذاتها بالنقد الذاتي، إن العقل النقدي من دون عقل ينتقد الذاب يخاطر بالإنزلاق إلى نقد منفلت إلى ما هو خارجنا وهنا نســـأل ما أهمية العقل النقدي غير القادر على النقد الذاتي؟ إن التفكير النقدي يفترض بالضرورة عقلا عقلانيا، أي قادر على تطبيق الإستقراء والإستنتاج والمنطق في أي فحص للحقائق أو البيانات، كما يفترض العقل العقلاني ضـــرورة الوعي بحدود المنطق في

---

[8] سورة أل عمران الأية 140

[9] سورة الرعد الأية 11

مواجهة حقائق لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال قبول تناقضات، أو من خلال ربط مضطلحات متعارضة..إن الروح النقدية التي تتغذى على هذا النحو من جميع هذه المقدمات الضرورية يمكن ويجب أن تمارس بحرية، لكن يتعين عليها أن تشمل أيضا الإستعداد لنقد النقد عندما يصير الأخير مفرطا أو لا يلتفل سوى إلى جوانب السيئة للظواهر والحقائق أو الأفكار أخيرا يتوجب على تدريس التفكير النقدي أن يقبل كون النقد متعلقا بالتعليم نفسه، وبالتالي فإن التفكر النقدي ينطوي على بنيى تحتية فكرية كاملة يتم تجاهلها بصورة عامة".

إن الفكر النقدي ضروري لرصد ومسايرة وتتبع وتقويم التحولات الفكرية الكبرى التي صاحبة الحداثة وما بعدها، في مستوياتها الإبستمولوجية والفلسفية، إنه لا يتصور بناء أي حضارة إنسانية في ضل الإنغلاق والجمود، والتعطيل ولعل ما شهدته أعظم الحضارات الإنسانية من تطور ورقي حضاري، كان بفعل حركيتها وسعيها وابتكارها، ولعل التاريخ الإنساني يصور لنا أدق المشاهد التي تبين واقع التحولات وظروف تشكلها، فما جعل الحضارة الإسلامية التي صنعت في بداية التجربة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية لتتجاوزها إلى كل القارات حضارة ذات أبعاد إنسانية وحضارية هو قضاؤها على التقليد والجمود، بل إن النقد من شروط التخلص من التأخر الحضاري"لا شك أن خيرية الأمة كانت ولا تزال منوطة برسالتها ووظيفتها في ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي ممارسة عملية النقد والتصويب والمناصحة والمراجعة، وهل النقد غير ذلك كما أن اكتساب الأمة لمفهوم ومدلول ومواصفات الوسطية والعدل هو الذي أهلها للشهادة على الناس وتحقيق الشهود الحضاري، وهل الشهادة على الناس إلا ممارسة النقد والمراجعة والتصويب وليس ذلك فقط، بل إن تعطيل عملية النقد والمراجعة والتواطؤ على الخطأ مؤذن بالسقوط، لذلك عاب الله على الأمم السابقة تواطأها على الباطل، وتوقفها عن المناصحة والمراجعة والنقد، وتسترها على الأخطاء والعيوب، يقول تعالى (إن كثير من الأحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطلو يصودون عن سبيل الله...لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود.....يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا.. " [10]

فتاريخ البشرية قائم على التحول والإنتقال والتغير محكوم بسنة التداول الكونية، فالقرآن الكريم يتضمن حث صريح على ضرورة النقد ويقدم المنهج المتكامل لممارسته "وأتصور أن المنهج

[10] فؤاد البنا التفكير الموضوعي سلسلة كتاب الأمة العدد 137 ط 1431 هجرية ص 33

الذي ينبغي أن نتعاطى به مع القرآن الكريم، هو المنهج المستفاذ من فلسفات القرآن، ومن هذه الفلسفات تحريك الدهن الإنساني في نطاق معادلة تساؤلية سجالية نشطة....وليس من المعقول أن الله تعالى بكل عظمته وجلاله يرسل نبيا بهدف استحصال اعتراف مكنون داخل الذات بوحدانيته ورحمته وعدله، بل القرآن يهدف إلى تحرير العقل من المسبقات من الإرتكازات السابقة، من الأوليات المترسبة في داخل العقل بتقادم الزمن الساكن، ولذا لا أتعامل بارتياح مع هذا التصريف البلاغي البارد لبعض موارد الإستفهام في القرآن الكريم، وسنكون أوفياء لرسالة القرآن ونص القرآن لو عالجنا هذه الأسئلة على ضوء روح القرآن الروح الصاخبة بالفكر ة العقل والنظر، الروح الجدالية لحية قل ها تو برهانكم إن كنتم صادقين "[11]كما أنه بالإمكان القول إن محور رسالة النبوة و سيرة الأنبياء وتعاليمهم كان ممارسة نقد العقائد، المبادئ، الأفكار والأقوال والأفعال لأقوامهم وبيان سبيل السلام وأطرهم على الحق أطرا، فكانوا القدوة والدليل إلى هداية الأمة إلى الصراط المستقيم، والوصول بها إلى سبيل الرشاد، وتقويم سلوكها بقيم الوحي والتقويم في حقيقته هو تصويب للخطأ العمل ذا قيمة، معالجة للأعوجاج والإنحراف وجعل المسار مستقيما بعد عوج ، وذا قيمة ومعالجة للإعوجاج والإنحراف وجعل المسار مستقيما بعد عوج، وذا قيمة وقدر بعد أن كان بسبب اعوجاجه لا قيمة له عند الله وعند الناس.[12]

إن ضرورة النقد وأهميته تأتي من ضرورة استشراف مستقبل العقل المسلم فواقعنا المعاصر يشهد تغيرات متسارعة في كل الميادين والمجالات الفكرية وغيرها، مما يستوجب تطوير مهارات التفكير لمواكبة هذه التحولات وبناء أفق إنساني أفضل،خاصة وأن العالم اليوم يشهد نضم وأنماط مختلفة في العيش فرضتها موجة الحداثة وما بعدها التي سادت في الغرب لتفرض وجودها على كل الأمم والمجتمعات "فإبلاغ قيم الحق للناس والشهادة عليهم، وإغرائهم بفعل الخير، وتحذيرهم من عمل الشر يعتبر من المهمات الصعبة، والمسؤوليات الكبيرة، والرسالة الإنسانية العظيمة، التي تتطلب من الأمة التي تضطلع بذلك مؤهلات وخصائص ومعارف وخبرات تمكنها من أعلى أنواع النقد والمناصحة والتصويب والإصلاح، وإن شئت فقل إنه يوفر المناخ التربوي الكبير الذي

---

[11] استراتيجية السؤال في القرآن الكريم ص 34

[12] فؤاد البنا التفكير الموضوعي مرجع سابق ص 6

يتشكل فيه العقل اليقظ الواعي الناقد الذي يستشعر المسؤولية عن مسيرة الحياة والأحياء وهدايتها وحملها على الطريق الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة." [13]

ومن هنا تتأكد ضـرورة إحياء وتجديد وبناء وتأسـيس فكر نقدي قادر على مواكبة وذلك من أجل الإسهام في" عودة الأمة إلى الفعل في التاريخ الكوني...ومن ثم فعليها تجنب تكرار ما حصل لها في التعامل مع أدوات القوة والوجود الحر: الفكر المبدع للغايات والمنتج للأدوات التي من دونها لا معنى للوجود الإنسـاني لكونها محققة لشـروط الوجود الحر والسـامي وفي هذا الإطار يمثل الإطلاع السـوي هو الترجمة الأمينة من المنبع، والمصـحوبة بالتعليق المبين لدور الأمة في المجال الذي تتعلق به هذه الترجمة وإلى هذا الأمر قصـدنا في هذا العمل، وذلك بفضـل ما أقدم عليه شباب مؤمن بهذه الأمة وبالقيم القرآنية التي هي ذروة القيم الإنسانية"[14].

الدراسات المستقبلية والفكر النقدي .

التفكير المسـتقبلي أو الدراسـات المسـتقبلية وهي كما يعرفها أهم روادها في العالم العربي، العالم المغربي المهدي المنجرة رحمة الله عليه" هي مجموعة من الأبحاث حول التطور المسـتقبلي للإنسانية تمكن من استخلاص عناصر التوقع، لايتعلق الأمر هنا بتقمص نبوئة زائفة، أو إصدار تكهنات أو أحلام حول المصـير المقبل للإنسـانية، كما أنه لا يتعلق الأمر كذلك بعلم حقيقي، ومن هنا جاء الرفض لمصطلح Futurologie عند خبراء المستقبلية، فالمستقبلية منهج يسمح بدراسـة التطورات المختلفة المحتملة لوضـع معين، في وقت محدد وتطوير نتائج هذا القرار أو ذلك على هذه التطورات، ويتميز منهجها بالشمولية وتعدد التخصص والسلوك الدائم لسبيل مفتوح يعتمد التفكير فيه على دراسـة خيارات وبدائل[15] في حين اعتبرها البعض"العلم الذي يحاول ان يوظف ويسخر المستقبل عن طريق استخدام أساليب علمية وإحصائية وكمية من خلال إجراء حسابات ومعادلات رياضية في دراسة حالة معينة وتقديم احتمالات مشروطة تستهدف الفترة الزمنية القادمة لغرض مواجهة البيئة الغير واضحة والغير مستقرة .وبهذا فإن الدراسات المستقبلية

---

[13] فؤاد البنا التفكير الموضوعي نفس المصدر ص 6

[14] أبو يعرب المرزوقي ، دور الفلسفة النقدية العربية و منجزاتها الشبكة العربية للأبحاث و النشر ط أولى بيروت 2012 ص 13

[15] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق ط 7 ص 175

الحديثة هي التي تقوم على توظيف العلم والتكنولوجيا لغرض إضافة الرصانة البحثية وحصولها اكبر قدر ممكن من المقبولية لدى البيئة العلمية ومجمع المختصين وذلك لأن مثل هذا النوع من الدراسات أثارت جدلاً كبير بين جمهور علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع واعتبر البعض ان مثل دراسات لا يرقى إلى مستوى البحوث العلمية الرصينة، لأسباب عدة أهمها هو عدم اعتمادها على مبادئ وثوابت ومرتكزات علمية تجعلها ذات صفة أكاديمية يمكن تقديمها لصناع القرار بحيث رفض الكثير من المعنيين والمختصين بالعلوم السياسية والاقتصاد والاجتماع بالاعتراف بعلمية هذه الدراسة و وصفوها بأنها لا تمتاز بالشروط العلمية المعتمدة في أساليب البث والتطوير العلمي، ومن جهة أخرى فإن الدراسات المستقبلية حضت باهتمام واسع وكبير من قبل مجموعة من العلماء في الكثير من الاختصاصات، بحيث صار هناك عدد كبير من المختصين في العلوم السياسية وعلم الاقتصاد والاجتماع يؤمنون بضرورة جعل هذا الحقل يأخذ حيزاً جيداً للدراسة والتطوير وعدم اعتبار هذا الحقل نوع من أنواع التنجيم والضرب في الرمال كما كان هذا الاعتقاد سائداً في الفترات الأولى لدخول الدراسات المستقبلية بصفتها العلمية إلى الحقل الأكاديمي[16] .

وبالتالي فظهور المصطلح بهذه التسمية، علم المستقبل، هو حديث ويعود على الأرجح إلى العالم الألماني أوسيب فلختهايم[17] وقد كانت البدايات الأولى للدراسات المستقبلية في الغرب معاصرة للحرب العالمية الثانية، حيث تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية دراسة المستقبليات وخاصة في مجال الدراسات الإستراتيجية العسكرية ولكن البدايات الفعلية للدراسات المستقبلية تعود إلى ستينات القرن العشرين، خاصة مع ظهور الحاسب الإلكتروني واتساع تطبيقاته، إلى أن أصبحت الدراسات المستقبلية هما يشغل المنظمات الدولية والمعاهد العلمية والشركات متعددة الجنسيات[18]

---

[16] SUST.Journal of Future Studies (JFS) ISSN:1858-7003, EISSN : Vol.17.No.(1) 2016 1858- 6988 ص 7

[17]

[18] SUST.Journal of Future Studies (JFS) ISSN:1858-7003, EISSN : Vol.17.No.(1) 2016 1858- 6988 7 ص 10

إن التفكير المستقبلي هو أحد أهم مداخل التقدم التي على الإنسان أن يهتم بها، بحيث ينبغي أن يمتلك عقل استباقي يفكر في الأحداث قبل وقوعها ويتوقع نتائج لفرضيات يضعها حتى يتمكن من احتواء مجريات الأحداث واستيعابها وهذا النوع من التفكير هو الذي ينبغي أن يوجه الممارسة النقدية أو الفكر النقدي حتى يكون إنتاجه بناءا وحافظا للإنسان، وبتعبير أدق يفترض في التفكير المستقبلي أن يكون تفكير نقدي في عمقه لايقف عند حدود التنبؤ بقدر ما يفتح مجال الفحص والتمييز وتوقع الأجود .

وقد برز التفكير المستقبلي في اهتمامات الباحثين والمفكرين بشكل كبير مما جعله نوع من التخصصات التي تدرس في الجامعات المرموقة تحت مسمى الدراسات المستقبلية والتي تروم التخطيط للمستقبل فقد "عرفت هذه لدراسات ازدهارا واسعا في البلدان الصناعية ، سواء على صعيد التكوين أو على صعيد إصدار المراجع والمستندات أو على صعيد البحث والتطبيقات العملية ....فحوالي 98 في المئة من مجموع النفقات بخصوص البحث في ميدان المستقبلية يتم من طرف هذه الدول، أما العالم الثالث فهو يشارك بأقل من 3 ي المائة في هذا المجال،علما أنه يضم 70 بالمائة من مجموع سكان العالم... [19]، ولطال ما اهتمت الدول المتقدمة بمجال الدراسات المستقبلية لما لها من الأهمية في توضيح مستقبل اهتماماتها وتجنيبها الأزمات وكل ما قد يعيق تقدمها.

ومن تمة فإن الحديث عن ظهور الدراسات المستقبلية غالبا ما ينسب للفكر الغربي جملة وتفصيلا بدأ بجمهورية أفلاطون التي تنبأ فيها بتقسيم المجتمع إلى طبقات ثلاث، ووصول إلى المعاهد الجامعية الكبرى المعاصرة في كل من أمريكا، واليابان وأوروبا وتختلف الآراء حول تحديد البداية العلمية للدراسات المستقبلية فهناك من يعتبرها "حدثا معاصرا انطلق مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت الدراسات الأولى من هذا النوع قد تمت على يد شركة رائد الأمريكية لحساب البنتاجون .....ولم تزدهر الدراسات ازدهارا ملموسا إلا في الستينيات حيث شهدت توسعا وانطلاقا حقيقين لكن يبقى أنه وحتى اليوم، قرابة الثلثين من الأبحاث حول المستقبل يقوم به إما القطاع العسكري ، وإما الشركات المتعددة الجنسية فلا غرابة في أن نجد

[19] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق ط 7 ص 177

الشيء نفسه بخصوص ميدان تمويل لبحث العلمي"[20] و يرى البعض أنها ترجع إلى نهاية القرن الخامس عشر الذى شهد ظهور كتاب توماس مور المعروف باسم (اليوتوبيا) الذى يطرح فيه تصورا مستقبليا للمجتمع المثالي الذى يخلو من كافة أشكال الاضطهاد والظلم والأنانية ، و ثم تلاه فى نهاية القرن السادس عشر حتى الربع الأول من القرن السابع عشر كتاب الفيلسوف الإنجليزى فرانسيس بيكون باسم (أطلنطا الجديدة) وهو يطرح رؤية مستقبلية للعالم من خلال تصوره لمجتمع جديد يعتمد على العلم كوسيلة أساسية لتغيير العالم والسيطرة على الطبيعة وتحقيق مستويات حياتية أفضل للبشرية ، بينما يعزو البعض الآخر أول محاولة لاستطلاع مستقبل الجنس البشرى على أسس علمية إلى القرن التاسع عشر الذى شهد النبوءة الذائعة الصيت الخاصة بالسكان للاقتصادي الإنجليزى توماس مالتوس، الذى عرض فى دراسته عن (نمو السكان) رؤية مستقبلية تتسم بالتشاؤم لحل التناقض الاجتماعي الناتج عن الثورة الصناعية، الذى تمثل فى تزايد أعداد الفقراء وتصاعد احتمالات الصرع الطبقى فى ظل سيطرة الطبقة الرأسمالية فى المجتمع البريطاني آنذاك. وتوقع مالتوس أن يتم التغلب على هذا التنافس من خلال الأوبئة والمجاعات والحروب التى تتولى تصفية الفقراء وإيقاف تزايدهم الذى يهدد مصالح الفئات التى تتحكم فى مصادر الإنتاج والثروة والنفوذ السياسى. ولكن لم تتحقق توقعات مالتوس، وتم حل هذا التناقض عن طريق آخر هو الاستعمار، إذ بدأت بريطانيا تتوسع فى انتزاع مناطق شاسعة من قارتى آسيا وأفريقيا. وقد ترتب على استغلال الموارد الطبيعية والبشرية لهذه المستعمرات تحسنا ملحوظا فى أحوال الطبقة العاملة خصوصا فقراءها فى بريطانيا، مما ساعد على حل الصراع بصورة سلمية على حساب شعوب المستعمرات فى العالم الثالث[21] .

وقد عرفت الدراسات المستقبلية تطورا كبيرا خلال القرن التاسع عشر خاصة مع "ظهور عدد من الأعمال الروائية لجون فيرن (1828-1903) والذى استطاع من خلالها أن ينفذ ببصيرة حادة إلى مجاهل المستقبل، ويطرح العديد من التوقعات المثيرة للعقل والوجدان فى روايات كان أشهرها (حول العالم فى ثمانين يوما)و(عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر) وهناك إجماع بين مؤرخى علم المستقبل على أن الكاتب البريطانى إتش. چى. ولز قد قدم إضافات بارزة فى

---

[20] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق ط 7 ص 174

[21] علي بشار أغوان،" الدراسات المستقبلية:ضرورة ملحة أم ترف فكري؟"، 2011/08/18،على الموقع التالي:[60] www.http://nashiri.net/articles/.../4929-v15-4929.htm

تأصيل الاهتمام العلمى بالدراسات المستقبلية، وذلك من خلال العديد من دراساته ذات الطابع المستقبلى مثل التوقعات (1901)، واليوتوبيا الجديدة (1905) وشكل الأشياء المستقبلية (1933)، وجميعها تدور حول استكشاف حياة وهموم الأجيال المقبلة. كما أن له أيضا كتاب صغير مشهور عنوانه اكتشاف المستقبل The Discovery of The Future ظهر فى بداية القرن الماضى ولا يزال يطبع حتى الآن ويتناوله الكثيرون بالدراسة والتحليل. وقد جسدت أعمال ويلز روح التشاؤم التى طغت على أوروبا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتصاعدت بفعل الأزمات الاقتصادية والسياسية خلال العشرينيات والثلاثينيات، وانتهت بالحرب العالمية الثانية[22] .

إن أهمية الفكر المستقبلي تكمن في أدواره المهمة في ابتكار حلول لمشاكل متوقعة بالمستقبل أو النجاة منها ذلك لأن موضوعه " فهو الدراسة لوضع معين بشكل مفتوح على البدائل والخيارات لتفحص جميع التطورات واستقراء النتائج الممكنة المترتبة عن هذا القرار أو ذلك على هذه التطورات لهذا نتكلم عن مستقبلات بصيغة الجمع في ميدان الدراسات المستقبلية وليس عن المستقبل بصيغة المفرد والغاية الأساسية من هذه الدراسات هي تحديد الأهداف المتوخاة وإمعان النظر في جعلها ممكنة في المدى المتوسط أو البعيد من خلال التأثير على الحاضر ومجراه."[23] ثم " إن دور المستقبلية لا يكمن في إصدار نبوءات، إذ يتجلى هدفها في تحديد الإتجاهات تخيل مستقبل مرغوب فيه، واقتراح استراتيجيات لتحويله إلى مستقبل ممكن، فالأمر يتعلق بتسليط الأضواء على الإختيارات قصد مساعدة صانعي القرارات للتوجه نحو الأهداف الطويلة المدى، مع إطلاعهم على التدابير الواجب اتخاذها في الحين، قصد الوصول إليها ....والمستقبلية لا تدعي عصمة في توقعاتها ونجاحها بل على العكس من ذلك الشيء الوحيد المؤكد هو أن أيا من هذه التوقعات لا يبدو صحيحا على الإطلاق والنظرة المستقبلية متعددة بطبيعة الحال إذ بالإمكان

---

[22] علي بشار أغوان،" الدراسات المستقبلية:ضرورة ملحة أم ترف فكري؟"، 2011/08/18،على الموقع التالي:[60] www.http://nashiri.net/articles/.../4929-v15-4929.htm

[23] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق ط 7 ص 175

تصـــور عدة أوجه ممكنة للمســتقبل وذلك لكون الإنســان البشــري يتوفر على وســائل لصــنع مستقبله"[24]

لكن على مستوى العالم العربي الإسلامي يمكن أن نلحظ شبه غياب في توظيف هذا النوع من العلم إلى جانب العلوم الأخرى،"ويكفي أن نشـــير للدلالة على غيابنا في مجال صـــناعة رؤانا المســتقبلية، الذي هو نتيجة طبيعية لغياب أي دور مســتقل لنا في الحاضــر"[25] ولعل الإخفاقات التي شـهدتها الحركات الإصـلاحية في العالم العربي الإسـلامي كان أحد أسـبابها غياب توجيه التفكير المســـتقبلي الذي يكون لـه الأثر الكبير في المآلات والنتائج إن لم يكن يحقق نجاحات فعلى الأقل يخفف الإخفاقات ويقلل الأضـــرار مما يبين بلا جدل أننا لازلنا بحاجة إلى كســـب تراكمات فكرية نظرية حول هذا النمط من التفكير وبحاجة أكثر إلى تفعيل خلاصـاته ومنهجه في تدبير مجريات أحداثنا الســياســية والإقتصــادية والمجتمعية "فعلى الرغم من أنّ الدراســات المســتقبلية حاضــرة في الفكر العربي الحديث والمعاصــر إلا أنّا ظلّت محدودة ولم تخرج عن النطاق الأكاديمي، ومن ثمة لم تمثّل جزءا من نسـيج التغير الاجتماعي والمؤسـساتي[26] وفي الواقع نجد أنّ الفكر العربي المعاصـر لم يتخلص بعد من أسـئلته المصـيرية والتاريخية ضـمن علاقات مميزة بشـــروط وآليات حركته العامة في علاقاته بموروثه الحضـــاري والثقافي وفي علاقاته المتشـــعبة بالآخر .ظهر الســؤال العربي للمســتقبل في حقول وميادين معرفية غنية ومتنوعة، لعل أهمها الفلسفة والعلم وفلسفة التاريخ والتاريخ وعلم المستقبل والاقتصـاد السياسـي وعلم الإسـتراتيجيا .) (هكذا يبدو لنا سـؤال الفكر العربي للمسـتقبل سـؤالاً وجودياً قبل أن يكون معرفياً وسـياسـياً، منطلقه الوعي النقدي باعتبار الوعي والنقد من أبرز إسـتراتيجيات التغيير والمســـتقبل، ومن هنا كان على الفكر العربي المعاصـــر بكل آلياته وأدواته أن يدخل عالم المسـتقبل بحثاً عن موقع مميز فيه، فتعددت مجالات ومحاور دراسـاته انطلاقاً من الجدليات التي أرّقت التاريخ العربي وأقحمته في مأزق ثنائيات متضاربة من قبيل :جدلية الداخل، والخارج، جدلية الدين والسـياسـة، جدلية السـلطة والمجتمع، جدلية الثقافة والتاريخ إلى فضـاءات الدولة

---

[24] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق ط 7 ص 176

[25] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى ص 183

[26] **SUST.Journal of Future Studies (JFS) ISSN:1858-7003, EISSN : Vol.17.No.(1) 2016 1858- 6988** ص 7

والمجتمع في الوطن العربي، العرب والعالم، العرب والمستقبل، التنمية العربية، التحديات البدائل المستقبلية[27]

إنّ الحاجة إلى الدراسات المستقبلية في الفكر العربي تفرضها الوضعية التاريخية للعرب في القرن الواحد والعشرين وموقعهم من الحضارة الإنسانية، فالاهتمام بالمستقبل ليس من باب الترف الفكري البرجوازي ذلك أنه من الضروري التركيز على عناصر الحركة العامة في عالمنا المعاصر التي تفرض علينا عدم فصل أو انفصال العرب عن منطق التاريخ المعاصر .وذلك بهدف إدراك حقيقة وعمق الروابط بين العرب والغرب فالمجتمع العربي، من هذا الجانب، لا يخرج عن كونه منظومة في جدلية وصراع مستمرين مع نظام عالمي أوسع وأعقد وأكثر إلماماً بمتغيرات المستقبل، فعالمنا المعاصر سريع التغير في الحقيقة في المجالات المادية والمعرفية والتقنية والفنية، ولعل أخطر مهمة يواجهها الفكر العربي المعاصر بكل فروعه وآلياته، هي في الآن نفسه نقد المنظومات الغربية ودراسة التراث العربي لتحديد ملامح المستقبل وتأسيس أو إعادة بناء الشخصية التاريخية العربية، والأخذ بالعقلانية العلمية والإبداع، نظراً للتحديات الكبرى إنّ المهمة الكبرى المطروحة على الفكر العربي المعاصر حيال المستقبل والتحديات المعاصرة تكمن فيها يمكن أن نسميه ابتداع رؤية عربية استشرافية للمستقبل كعملية شاملة واعية وحركة مستمرة ونقدية .ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا من خلال تفهم تاريخي نقدي عقلاني عميق للتراث واستيعابه، وكذلك فهم حقيقي دقيق لحقائق ومعطيات العالم المعاصر بكافة إمكاناته وتعقيداته، وفي هذين الطرفين لابد من الشجاعة والقدرة على فهم الواقع العربي الراهن بمعوقاته وإمكانياته الذاتية وما يحيق به من أخطار وتهديدات خارجية، وكذلك لابد من إعطاء الاهتمام الكافي لحاجات هذا العالم العربي الحقيقية الراهنة والمستقبلية .)2 (لأنّ في تميز الأقطار العربية بوحدة الحضارة والتاريخ واللغة حافز على التطلع إلى بذل مجهود جماعي في مجال الدراسات المستقبلية لصناعة المستقبل وكتابة التاريخ فلا بدّ من أذكاء الوعي بأهمية الدراسات المستقبلية وتحديد مضمونّا وتحديث منهجها وتأصيل ثقافتها[28]."فبطرحنا للسؤال التالي : كيف نلحق بالركب

---

[27] SUST.Journal of Future Studies (JFS) ISSN:1858-7003, EISSN : Vol.17.No.(1) 2016 1858- 6988 ص 14

[28] مجلة الدراسات المستقبلية ص 21

الحضاري الإسلامي و نستدرك ما فاتنا من الوقت الضائع؟ يمكن أن ندرك مغزى ومدى أهمية دراسة المستقبل الذي يمكننا من القراءة و التطلع في الأفاق الجلية للحق والمعرفة للنفس"[29] .

إن العلاقة بين الفكر النقدي والفكر المستقبلي هي علاقة تكاملية بحيث يحاج كل منها الأخر بل يكونه ويرفع من جودته وبنائيته ثم إن النقد عموما إذا لم يراد به تحصيل أفق مستقبلي أفضل فربما لا حاجة له، ولعل أهم الدراسات النقدية التي تنقص الفكر الإنساني والعربي على الخصوص اليوم هي الدراسات الناقدة أو النقدية المستقبلية أي التي تقوم بممارسة النقد على أساس حفظ المستقبل وتوجيه التعامل معه وصيانة الحياة فيه هذا لا يعني أن النقد الموجه للتراث والذي يشتغل على الزمن الماضي بصفة عامة يعتبر نقدا ماضويا بل على العكس هو أهم مجالات النقد التي تتطلب الحضور المستقبلي فيها حتى يعيد الإنسان الإستفادة من تراثه وماضيه بما يحسن وجوده بالمستقبل ونمط عيشه ومحيطه ومن تمة "فالتهوين من الأهمية الإستراتيجية للدراسات المستقبلية سمة حادة من سمات التخلف وإنه لصعب باستمرار أن تفهم قاعدة هي غاية في البساطة مفادها أن المشكل بقدر ما يكون خطيرا وعويصا وملحا ومستعجلا ، بقدرما يتطلب حله نظرة بعيدة الأمد لذلك كان التطور لا يسري في شعب إلا إذا مكن نفسه من وسائل التفكير في المستقبل، باحثا عن الإتفاق وسبله حول مشاريع الغد التي تهم المجتمع " [30].
إن التفكير بالمستقبل قد يكون له أثر سلبي أو إيجابي على الشخص، فيكون سلبي عندما يربط الإنسان حياته كلها بالمستقبل بحيث يربط مثلا سعادته في الحصول على منصب معين أو مبلغ مالي معين أو ...رغبة معينة في هذه الحالة يكون الربط غير طبيعي لكونه يوقف الحاضر لأجل المستقبل أو لا يهتم بالزمن الحاضر وهو الزمن الذي يعيشه لأجل زمن لم يأت بعد، وقد لا يأتي وقد يأتي ولا يجد الشخص حيث يكون قد قضى نحبه، في هذه الحالة يكون التفكير سلبي لكونه هز التوازن الزمني في الإنسان، أما حين يكون التفكير المستقبلي إيجابي فعندما يوظفه بما لا يقضي على حاضره ولا على ماضيه أي عندما يربطه بموقعه فهو مستقبل وسيقع بالمستقبل

[29] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى ص 73
[30] المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق ط 7 ص 175

وبالتالي يهيء الشخص نفسه لزمن قابل على أساس النجاح أو الإخفاق ويستعد لقبول التوقعات كيف ما كانت حتى يكون تفكير إيجابي لا ضرر فيه على الإنسان.

كل منا يوظف التفكير المستقبلي كل حسب تفكيره وحاجاته وتصوراته، وبالتالي كل منا يسعى لمستقبل يظنه، وأبسط مظهر للتفكير المستقبلي نتخيله مع شخص يزاول مهنة معينة، كل ليلة قبل أن يأوي إلى فراشه يرتب حقيبة عمله ويتفقد سيارته ولباس عمله وكل ما قد يحتاجه ليوم عمل جديد وهو استعداد ليوم غد أي للمستقبل لكن تكرار هذا السلوك لسنوات يجعله فاقد للمستقبلية ذلك أن الرتابة جعلته مألوف مرئي فائت لكن التفكير المستقبلي يجعل الإنسان مشحون بالطاقة الإجابية والقوة والنشاط والرغبة بالتقدم والعمل، إن التفكير المستقبلي الإيجابي لا يكون وقعه والإيجابي فقط عندما يرتبط، بالزمن المستقبل بل يكون له الأثر على الزمن الحاضر أيضا لكونه يحصل للشخص عدة فوائد.

إن القرآن الكريم استغرق كثيرا في الحديث عن ما بعد الحياة الدنيا وما بعد الموت كأبعد نقط للتفكير المستقبلي وشغل الحديث عن الغيب فيه مساحة كبيرة فتحدث عن الجنة والنار والعقاب والجزاء وحال المؤمنون وحال غيرهم ولعله يريد بحديثه عن الغيب إعمال العقل في التفكير بالمستقبل وما يقبل عليه الإنسان من جهة ليحصل على مستقبل صالح ومن جهة أخرى ليكبح تجاوزات رغباته البشرية وترك المعصية والخضوع لله. قال تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب "[31] ثم يقول "قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد[32]" أي أن حياة الإنسان قائمة على التوازن في كل شيء فلا يعطي الحاضر كل اهتمامه وينسى مستقبله وكذلك العكس لا يعطي المستقبل كل اهتمامه على حساب يومه.

---

[31] الاية 14 سورة آل عمران

[32] الآية 15 سورة آل عمران

إن التفكر المســـتقبلي الناقد، يؤهل العقل للمقامات الإبداع والتجديد، ويمكن من التخلص من التبعية والتقليد، وقد برهنت على ذلك عدة تجارب رائدة في التقدم الحضـــاري كتلك التي مثلتها بعض دول أسيا والتي انطلقت من مقوماتها الخاصة مستفيدة طبعا من مظاهر التقدم، لكنها غبر واقفة عندها مما جعلها تنافس كبريات الدول، وذلك بتوظيف التفكير المستقبلي والنقدي ..

الفلسفة في سياق تكامل العلوم :

إلى حدود القرن السابع عشر الميلادي كانت الفلسفة تشمل جميع العلوم، ثم بعد ذلك تم فصل العلوم عن الفلســفة، بحيث العلم يعتمد على الملاحظة والتجربة في حين أن الفلســفة تتجه إلى التجريد فانفصلت الرياضيات والميكانيكا والفزياء والكمياء تباعا، تزعم هذا الفصل كل من غاليليو ونيوتن وكوبرنيك وغيرهم من رواد النهضــة الأوروبية، فهل يكون هذا الفصــل سـبب من أسـباب انفصــال العلوم وتباعدها لدرجة التقابل؟ وهل للفلسـفة دور في جمع شـتاتها باعتبارها تمكن من كشف رؤية جامعة وشاملة قادرة على تجنيب العلوم نتائج سلبية، وتحقيق خدمة الإنسان والكون بما يحفظ الإنسانية والطبيعة أو على الأقل بأقل الخسائر؟

تقوم فكرة تكامل العلوم على فرضـــية إمكانية تقليص الهوة بين العلوم وتقريبها لتنتظم كالعقد، وتنتفي مظاهر التحيز والإنغلاق التي تشـــهدها العلوم ، إن تخريج الكفاءات في مجالات الطب والهندسـة والتجارة و...غيرها دون أدنى تكوين فلسـفي يؤدي حتما، لقد سـاد اعتقاد في الأوسـاط المجتمعية على اختلاف طبقاتها وفئاتها يكرس تلك النظرة العدائية للفلســفة والمجحفة في حق العلوم الإنســانية عموما بكل مكوناتها، باعتبارها علوما تراثية لا تســتجيب لحاجيات الإنســان المعاصـر التي عرفت تحولا كبيرا حيث اتجه الإنسـان نحو الفردانية والإسـتقلالية التامة وهي قيم تقوم في أصلها على ما هو مادي صرف على حساب ما هو معنوي.

ولذلك وجب التنبيه إلى مكانة الفلسفة ضـمن العلوم بكل مجالاتها، وتعتبر مراحل التعليم الثانية_ أو ما يسـمى بالإعدادي_ مرحلة مهمة تتطلب تهيء الطالب للتعرف على الفكر الفلسـفي وأهميته في الربط بين العلوم، وهي مرحلة مهمة تؤهل الطالب للمرحلة الموالية حيث يتم فتح الباب أمامه

للعرف على نصـوص الفكر الفلسـفي واتجاهاته و تاريخه، مما يقوي ثقافة الطالب ومعرفته بغض النظر عن مساره و تخصصه.

إن المنظومة التربوية التعليمية المغربية تتحمل قسـطا وفيرا من المسـؤولية عن المسـتوى الثقافي والفكري للأجيال القادمة، ولذلك وجب التأكيد على مكانة التربية والتعليم في صـــناعة الفارق الثقافي فمؤشـر التعليم يعتبر مؤشـرا تنمويا، يعبر تعبيرا صـريحا عن مكانة المجتمعات وموقعها من التقدم الحضاري حيث لا رقي و لا تقدم لمجتمع في ظل الجهل والتبعية.

ومن تم فإن التعليم كان ولا يزال المجال الأجدر لإصـلاح أفكار الناس وتصـحيح تصـوراتهم عن الحياة والكون والإنســـان، خاصـــة في واقعنا هذا الذي انقلبت فيه الموازين و تراجعت القيم وأصـــبحت معايير التقييم مختلفة عما كان ســـائدا قبل الحداثة، فإذا كنا نحن نســـتشـــعر هذا الإنقلاب و نحس خطره في واقعنا المعاصـر فالأمر أخطر أضـعاف المرات بخصـوص الأجيال القادمة لذلك لابد من طرح ســـؤال أي مســـتقبل للأجيال القادمة في ظل التحولات القيمية التي يفرضـها السـياق العالمي، خاصـة مع التوغل المهول للتكنولوجيا ووسـائل التواصـل في الحياة الخاصة والفردية للناس.

هذه التخوفات والإنذارات حذر منها علماء متخصـــصـــون في التربية والتعليم في مختلف بقاع العالم، و تخوف منها متخصـــصـــون في بلدان متقدمة يتبوأ تعليمها المراتب الأولى في الترتيب العالمي كأمريكا والدول الإســـكندنافية، فما بالك بالبلدان النامية و دول العالم العربي التي ماتزال تواجه مشـكلات كتعميم التعليم ومجانيته ومحاربة الأمية في صـفوف غير المتمدرسـين، والهدر المدرسي، والتفاوت بين مراكز تخريج المتعلمين ومتطلبات سوق الشغل.

إن"حاجتنا إلى الإحياء والتجديد لفلسـفة إسـلامية معاصـرة سـيتزايد إلحاحها وتبرز ضـروراتها إذا نحن نظرنا في واقعنا الفلسـفي الراهن والمأزق الفلسـفي الذي نعيش فيه ينبغي أن تكون الفلسـفة التي نسـعى إلى بنائها فلسـفة أمة الإسـلام لآلتزامها بعقيدة هذه الأمة، وتوجيهها لتفسـير واقعها وتطويره وتغييره باتجاه الإتسـاق مع معايير الإسـلام كي لا تكون هذه الفلسـفة ترفا فكريا لصـفوة معزولة عن الواقع ومتعالية عليه وعلى عقيدة أهله الدينية فالمطلوب لهذه الفلسـفة ومنها أن تكون قسـمة في المشـروع الحضـاري الإسـلامي المدعو كي يكون دليل عمل النهضـة الإسـلامية التي

تعيد الإســـلام وأمته إلى موقع الإمامة والصـــدارة والشـــهود الحضـــاري في منتدى الحضـــارات الإنسانية، قياما بفريضة القيادة والترشيد للعالمين". [33]

لائحة المراجع :

- ✓ المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الشروق الطبعة الأولى.
- ✓ أبو يعرب المرزوقي ، دور الفلسفة النقدية العربية ومنجزاتها الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط أولى بيروت 2012
- ✓ طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة ج 1 الفلسفة والترجمة،ط 1 سنة 1995 المركز الثقافي العربي
- ✓ فتحي المسكي ين الهوية والحرية نحو أنوار جديدة ص 12، الطبعة الأولى 2021 جداول للنشر والتوزيع بيروت لبنان
- ✓ علي بشار أغوان، الدراسات المستقبلية:ضرورة ملحة أم ترف فكري؟
- ✓ فؤاد البنا التفكير الموضوعي سلسلة كتاب الأمة العدد 137 ط 1431 هجرية
- ✓ سعد البارزعي قلق المعرفة إشكاليات فكرية وثقافية المركز الثقافي العربي طبعة أولى 2010
- ✓ طه عبد الرحمن، الحق العربي في الإختلاف الفلسفي،ط 2 سنة 2006 المركز الثقافي العربي .

[33] محمد اعمارة ، نحو فلسفة إسلامية معاصرة ندورة مرقونة ط 1 سنة 1989 المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص 507